تحيـة دمشق (*)

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا قلبُ هلِّلْ وكبِّرْ ! دمشقُ : جنَّةُ عبقَـرْ
بدتْ لعينيَّ منهـا رغمَ السحابِ المُكوَّرْ
مَشاهِـدٌ مُشرِقاتٌ وأدوُرٌ تتنـوَّرْ
ازيَّنَتْ وتحلَّتْ في كل عضـوٍ بجوهرْ
لها منَ المجدِ تاجٌ من البُـدُورِ مضفَّرْ
ولم تزل في فُواهـا تطوي الدُّهورَ وتنْشُرْ
قدْ عِشتُ فيها خيالاً مع «الوليدِ ابن بُحتُرْ» (١)
يهفوُ اشتياقاً إليهـا في عهدِ «فتحٍ» و«جعفرْ» (٢)
مصوِّراً مـا تبدَّى منْ حسنِهـا ، وتأزَّرْ
بريشـةٍ حملتْهـا يدٌ صَنـاعٌ تُعبِّـرْ
باللفـظِ حلْيِ المعاني من الرَّشاقـةِ يخطِرْ

(*) القصيدة التي استهل بها الأستاذ الصيرفي بحثه التالي عن الأستاذ كرد علي .

(١) إشارة إلى السنوات التي قضاها الشاعر في تحقيق ديوان البحتري .

(٢) الفتح بن خاقان ، والخليفة جعفر المتوكل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجئتُهـــا ذاتَ يومٍ والعودُ ما زالَ أخضرْ
ترَى الحقيقـــةَ عيني مجْلـوّةً دونَ ميْزَرْ
أرى الملائكَ فيهـــا بين الأناسيِّ تظهَـــرْ
أرى الطبيعـةَ تزهُو فنّـاً يَشوقُ ويَسحَـرْ
لوحاتُهـــا رسمَتْهـــا يدُ القـــديرِ المصوّرْ
والماءُ في بَرَداهـــا كفضّـــةٍ تتحـــدّرْ
والخيرُ في غوطَتَيْها على الأفـــانينِ مثمِـرْ
تفاحُـها كخدودٍ خجلى من اللثمِ تَحْذَرْ
وكرمُها حانُ شعرٍ يدنو ليُجنى ويُعصَـــرْ
والحورُ يعلُو شُموخاً على كواهلِ «دُمَّرْ»
و«النَّيْربانِ» وِشاحا فتّـــــانةٍ تتبخـــترْ
قد وُشّيا في اتّساقٍ بالزّهرِ غضّـــاً منوّرْ
في كلّ لونٍ بهيجٍ منهُ النسيمُ تعطّـــرْ
يا للجـــمالِ المُوشّى بينَ الوِشاحِ المُحبَّرْ
دِمشقُ آيةُ مجـــدٍ تغزُو السِّنينَ وتقهَـرْ
سماؤهـا في عُلاهـــا تُردّدُ «اللهُ أكبرْ»!
فوقَ المآذنِ تعلو تسبيحـــةً تتكـــرّرْ
وأرضُها وِثراهـــا تِبرٌ، ومِسكٌ، وعنبرْ
وأهلُها منْ تُقاهُمْ وجهٌ مُنيرٌ مُتنضّـــرْ
والشِّعرُ فوقَ لِهَاهُمْ يُصغِـي لهُ كلُّ مِنبرْ
من كلّ مُبدعِ شِعْرٍ رَثَى، وغنّى، وصوّرْ
وكلّ كاتبِ نثرٍ يَسْبي العقولَ ويأسِـرْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكلِّ صاحبِ فكرٍ في كل فـــنٍّ تبحَّرْ
وكلِّ عـــالمِ دينٍ هدى السبيـلَ ونوَّرْ
وللبطـــولاتِ سِفرٌ مـــع الخلودِ مُسَطَّرْ
من ثائرينَ أزاحُـوا ليلَ الدخيـلِ المُسَيطرْ
لكنَّ أحداثَ يومٍ من القطيعةِ أغبرْ
قد حلأتني اعتسافاً عن سلسبيلٍ مقطَّرْ
فعدتُ منهـــا بقلبٍ من الأسى يتفجَّرْ
بزفرةٍ تتسعَّرْ ومُهجـــةٍ تتفطَّـــرْ
كآدمٍ وهو يُقصى عن الجنانِ وكوثرْ
كان انفصالاً ، ولكنْ لم يستطعْ أنْ يدمِّرْ
مشاعرَ الحبِّ فينا أو يســـتبدَّ ويأمُرْ
دمُ المروبةِ فينا صافٍ ، ولن يتكدَّرْ
مهما اختلفنا فإنا أهلٌ ، وصهرٌ ، ومعشَرْ
بين الجوانحِ أنتمْ رغمَ المسافاتِ ـ حُضَّرْ

* * *

وبعدَ عشرٍ وخمسٍ من السنينَ يُقدَّرْ
أنْ أستعيد خطايَ على ثراهـــا المطـــرْ
والشَّيْبُ جلَّلَ رأسي والسُّقمُ فيَّ تجـــبَّرْ
لكنَّ قلبي شبابٌ لمّا يشبْ أو يَكْبَرْ
أرنو إلى كلِّ حُسنٍ باللحظِ وهو محـــيَّرْ
إنْ رفرفَ القلبُ خفقاً قـــام الحجى فتصدَّرْ
وإنْ تقدَّمتُ باعاً قالَ السَّقامُ : تأخَّرْ !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما لِلسقامِ ومالي ! أنا على الحسنِ أسهرْ
الحسنُ كأسي وخمري أصحو عليهِ وأسكَرْ !

* * *

« فيحاءُ » جئتكِ أسعى سعيَ الحجيجِ لِمَشعَرْ
شعري صلاةُ فؤادٍ من النفـــاقِ مطهَّرْ
نزلتُ في صبحِ فجرٍ من المؤاخـــاةِ أسفرْ
طوى الأشـــقاءُ فيهِ ليـــلاً كئيباً تعكّرْ
جلاهُ عـــزمٌ وحزمٌ لِـ « حافظٍ » ولـ « أنورْ »
صِنْوا كفاحٍ مريرٍ من التعجرُفِ يثـــأرْ
ودَيْدَبانا حفـاظٍ لكلِّ شـــبرٍ يُحرَّرْ
وقـــائدا عزمـــاتٍ إلى انتصـــارٍ مظفَّرْ
وكاتبـــا صفحاتٍ من الخـــلودِ ستُذكرْ

* * *

يا مجمعيِّي دمشـــقٍ عن الوفاءِ أعـــبِّرْ
اخـــترتموني ضعيفاً بين الشوامخِ أظهَـــرْ
في مجمعٍ ـ لرجالٍ بناةِ فكرٍ ـ مُوقَّرْ
اخترتموني ـ حُفظتمْ ـ فجئتُ أسعى لأشكُرْ
والحرُّ إنْ أسرتهُ يدٌ ، فمنْ يتنكَّرْ
أسرتُموني فعفواً إذا بيـــانيَ قصَّرْ !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net